بحث عام | قسم الدراسات الدينية | 25 أبريل 2017

مناهج الحركات النقدية للكتاب المقدّس في الغرب

النقد البلاغي أنموذجًا

هشام مباركي
باحث مغربي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017
All rights reserved © 2017

الملخّص:

إنّ موضوع النقد البلاغي للكتاب المقدّس، يُعدّ استمرارًا للحركات النقدية التي تسارعت وتيرتها في الغرب؛ كمنهج النقد التاريخي، والفيلولوجي، والأركيولوجي، فضلًا عن نقد الصيغة اللغوية والأشكال الأدبية، ومرّ النقد البلاغي للكتاب المقدّس بمجموعة من المراحل، وقطع أشواطًا زمنية ممتدة عبر التاريخ، حتى استوى، وصار علمًا قائمًا بذاته، على يد جيمس مويلنبيرج؛ إذ كان ظهوره ضرورة حتمية، أملتها الظروف العلمية، التي راكمت تجربة تطور وتقدم اللسانيات الحديثة خطوات إلى الأمام، والقفزة النوعية التي أحدثتها الأجناس الأدبية، وانبثاق المدارس الشعرية والنثرية، وتعدّد المذاهب، والاتجاهات اللغوية، والفكرية، والنقدية.

وللمنهج البلاغي في نقد الكتاب المقدّس، قواعد وأسس وضوابط وأهداف؛ إذ تندرج ضمنه موضوعات ومسائل دقيقة، ويطرح إشكاليات عديدة، وفرضيات متنوعة، ويوظف مقاربات مختلفة؛ كالمقاربة التفكيكية، والبلاغة النقدية الاجتماعية، والبلاغة الهيرمينوطيقية.

إنّ المنهج البلاغي في نقد الكتاب المقدّس، يسعى إلى تمحيص النص الديني، كوحدة موضوعية في مجال أو نطاق معين، ويهتم بسؤال البنية، والتوازي التركيبي والتقاطعي، وظاهرة الإقحام، أو الحشو، وجدلية التكرار والإيقاع الموزون، ومدى تماسك جزئيات الوحدات النصية، والأسلوبية، المعيارية والجمالية، وجزالة اللفظ، ودور المعنى في التأثير على المخاطب، اعتمادًا على القوة الإقناعيّة، والحجاج، اعتبارًا، من اللوغس، والإيتوس، والباتوس، والترابط المنطقي بين العبارات، وإشكالية الترجمة في المحافظة على أساليب البلاغة، ومدى توافق الصور البلاغية، وطرائق الكلام، وفنون القول، وضروب العبارة، مع متون النسخ والمخطوطات، الأقرب إلى الأصل، بهدف تصحيح الانطباعات، وتقويض التناقضات، وتقويم التصورات، والتعقلات، والمواقف، والسلوكيات، والمعتقدات، وأنماط التدين. كما أنه يحدّد أهدافًا واضحة المعالم، خدمة للمطلب العلمي الأكاديمي، قصد احتواء المفاهيم التي لم يتمّ إخضاعها، ووضعها تحت مجهر الحقائق الكاشفة عن الثابت من المتحول، والأصيل من الدخيل، والمطلق من النسبي، وبذلك؛ عدّ هذا المنهج النقدي أداة براغماتية، ووسيلة إجرائية وعملية، لفهم القضايا التفسيرية، والكشف عن الهفوات والمزالق التأويلية في العصور؛ المبكّرة منها والحديثة.

مقدمة:

يندرج البحث في موضوع النقد البلاغي للكتاب المقدّس، ضمن دائرة الاهتمام، التي أولاها علماء الغرب لدراسة النصوص المقدّسة، وفحصها فحصًا علميًا دقيقًا، بمناهج متعددة، ومقاربات مختلفة؛ كالمنهج الفيلولوجي: الذي يهتم بالنظر في صحة المخطوطات العبرية والإغريقية، للتأكد من موثوقية متونها، وصحة سندها. والمنهج التاريخي: الذي يسعى إلى التحقق من القصص، والحكايات، والأحداث، والشخصيات، والحضارات، والمعطيات، والمسلمات، التي يقرها كل من العهد القديم والجديد، برؤية تاريخية، انطلاقًا من مقارنتها مع الوثائق والمدونات، المجمع على صحتها. والمنهج الأركيولوجي العلمي: الذي لا يتوانى عن رصد الجوانب المشتركة، بين ما هو مثبت في الكتاب المقدّس للأمم، والحضارات البائدة، وما تم التوصل إليه، واكتشافه في ضوء الكشوفات العلمية، المعاصرة لمخلفات الأمم، والشعوب، والحضارات الأولى، وغير ذلك من المناهج؛ التي وضعها علماء الغرب، لإضفاء قراءة جديدة ومعاصرة على الكتاب المقدّس؛ كنقد الأشكال الأدبية، والصيغة اللغوية، ...إلخ.

والمنهج البلاغي في نقد الكتاب المقدّس، يعتبر أحدث هذه المناهج ظهورًا، له آلياته وأدواته، وتندرج ضمنه موضوعات ومسائل، ويطرح إشكاليات عديدة وفرضيات متنوعة، ويوظف مقاربات مختلفة؛ كالمقاربة التفكيكية، والبلاغة النقدية الاجتماعية، والبلاغة الهيرمينوطيقية، كما أنه يحدد أهدافًا واضحة المعالم، خدمة للمطلب العلمي الأكاديمي، ويقوم بفحص النصوص المقدّسة في مستويات عدة؛ كعلاقة اللفظ بالمعنى، والأسلوبية، والجمالية، وأنماط البنية، والتوازي التركيبي والتقاطعي، والترابط المنطقي بين العبارات، والصيغة الأدبية، والوحدات النصية، وغيرها من الصور البلاغية؛ كالتشبيه، والاستعارة، والمجاز، ...إلخ، ومدى توافق هذه الصور البلاغية وطرائق الكلام والتعبير، في النسخ والمخطوطات الأقرب إلى الأصل، والترجمات؛ القديمة منها والمعاصرة.

فما هو النقد البلاغي للكتاب المقدّس؟ وما هي العوامل والأسباب التي أدت إلى ظهوره في الساحة الفكرية والعلمية؟ وما هي قواعده وضوابطه وشروطه وأهدافه؟ وإلى أي حد ساهم في نقد الكتاب المقدّس في ضوء المناهج الغربية الحديثة؟

1- مفهوم النقد البلاغي للكتاب المقدّس: تاريخه وموضوعه

تعدّ البلاغة؛ شكلًا من أشكال الوعي الإنساني، وعلى اعتبارها ظاهرة لغوية؛ فهي أزلية وقديمة قدم الإنسان؛ حيث وظفها، هذا الأخير، في التعبير عن تصوراته وتعقّلاته للأشياء والمسميات، بطريقة عفوية وأقرب إلى السليقة، تعكس زخم المعاني التي تراود مخيلته، وتنوّع الأساليب التي تكشف عن ماهية مطالبه، وتطلعاته، وطبيعة سجيته وعواطفه، ومدى حقيقة إدراكه لكينونته ووجوديته، وباختلاف الثقافات، والحضارات، واللغات، وأساليب العيش، كان من الضروري أن تكون لكل مجتمع بدائي، أو قبيلة مغمورة، أو حضارة قديمة، بلاغة تخصّها، وتمت إلى لغتها بصلة ورابطة بنيوية، حتى يتأتى لها التواصل على طريقتها الخاصة، وبأسلوبها الفريد الذي ينسجم مع حركة حياتها.

وقد سعت كل أمة، في وقت لاحق، إلى التعريف ببلاغتها اللغوية، وتقعيد مبادئها، في إطار مفاهيمي خاص بها، وحكرًا عليها؛ حيث ترى عالمة اللاهوت (فيليس ترايبل Phyllis Trible): أنّ البلاغة استوت معالمها في الحضارة الإغريقية القديمة، وتحديدًا في القرن الخامس قبل الميلاد، وعرّفتها؛ بأنها فن الخطاب الإقناعي، مستلهمة مما أقرّه (أرسطو Aristotle) في تعريفه للبلاغة، كمحاولة للكشف عن وسائل الإقناع، كما اهتم رجال الدين؛ من حاخامات، وربيّين، وقسّيسين، بالبلاغة منذ العصور المبكّرة؛ ليستلهموا من النصوص الدينية المقدّسة، لاسيما التوراة والعهد الجديد، بعض الجوانب الفنية التي تجعل كتبهم تتميز عن غيرها؛ من المدوّنات التاريخية، والملاحم الأدبية الأسطورية[1].

والنقد البلاغي (Rhethorical Criticism)، موضوع الدراسة والتحليل، قد مر بمجموعة من المراحل، وقطع أشواطًا زمنية، ممتدة عبر التاريخ الطويل، حتى استوى وصار علمًا قائمًا بذاته، بعد سلسلة من تطور العلوم الإنسانية، والمناهج النقدية، والأشكال الأدبية، والدراسات الفيلولوجية؛ حيث لم تقتصر مهمته في نقد النصوص الأدبية؛ إنما انصرفت، كغيرها، إلى وجوب إعادة النظر في مضمون الكتاب المقدّس، ومدى تأثيره ووقعه في نفوس أنصاره، الذين يتخذونه منهجًا في حياتهم.

كان (باروخ سبينوزا Barukh Spinoza)؛ الفيلسوف اليهودي الهولندي، أوّل من دعا إلى ضرورة فهم طبيعة البلاغة للكتاب المقدّس، وتمحيص مادّته، لاستنباط تفسير واضح لمحتوياته، ومن ثم؛ وضع قواعد (هرمينوطيقية Hermeneutical) كان لها الأثر الواضح، لاحقًا، على الناقد الفرنسي الكاثوليكي (ريتشارد سيمون Richard Simon)؛ الذي جعل الكتاب المقدّس، كغيره من النصوص الأدبية والتاريخية، والوثائق

1- Phyllis Trible, Rhetorical criticism context, method, and the Book of Jonah, Augsburg fortess, USA, 1944. P 7.

القديمة عرضة للنقد والنقض، وأنكر دعوى عصمة الكتاب المقدّس من الأخطاء، وخلوّه من التناقضات، وبذلك دعا إلى تعميم تطبيق المناهج النقدية على جميع المدونات، بما في ذلك الكتاب المقدّس[2].

وفي مطلع القرن العشرين، وعقب استقلال العلوم من الفلسفة تحديدًا، ظهرت معارف جديدة ومتنوعة؛ حيث تراجع دور العالم الموسوعي، كما كان قديمًا، وحلّ محلّه العالم المتخصّص؛ فأفرد للمجال المعرفي والحقل العلمي، الذي يهتم به مجموعة من الدراسات والأبحاث الدقيقة، التي تنشد الإجابة، ولو نسبيًا، عن الإشكاليات، القديمة والجديدة، المطروحة في الساحة الفكرية، لاسيما في العلوم الإنسانية على اعتبارها علومًا جدلية.

ومن هنا؛ برزت مجموعة من الباحثين المرموقين؛ كالألماني (إدوارد كونيغ Eduard könig): الذي قدّم تحليلًا شاملًا للصور البلاغية؛ من استعارات، وعبارات مجازية للكتاب المقدّس، واهتم (إدوارد سييفيرز Eduard Sievers) بالقوافي والأوزان للشعر العبري، بالموازاة مع العهد القديم، مع سفر التكوين (Genesis)، على الخصوص، وسفر صموئيل (Samuel). أما في الولايات المتحدة؛ فقد ألف جون غينين (John Genung) كتابًا في كيفية تفحص المخطوطات الأدبية العبرية، وقام أمبرتو كاسيتو (Umberto Cassuto) في مدينة القدس، بتحليل الإصحاحات الأولى من سفر التكوين؛ نحويًا، وأسلوبيًا، وبنيويًا، ...إلخ، وبذلك، كانت البلاغة الكلاسيكية ونظريات النقد الأدبي، والدراسات الأدبية للكتاب المقدّس؛ هي المكونات، والمحددات، واللبنات الأساسية التي أدت إلى ظهور النقد البلاغي للكتاب المقدّس (Rhetorical Criticism of Bible)[3].

وتعدّ عبارة «النقد البلاغي للكتاب المقدّس»، كمركّب إضافي، من أكثر العبارات التي يصعب تعريف مداخلها، وتحديد ماهيتها، تحديدًا يتطابق والشروط المنطقية لصياغة تعريف لها، وعليه؛ بات مستحيلًا، تقديم تعريف جامع مانع لها، لاعتبارات عديدة، منها؛ ما هو لغوي، ومنها؛ ما هو تاريخي، ومنها؛ ما هو إبستيمولوجي.

والثابت: أن علماء نقد العهد القديم، اعترفوا وأقروا بصعوبة تعريف النقد البلاغي للكتاب المقدّس؛ فكانت تعريفاتهم متضاربة في ذاتها، ومتناقضة مع غيرها؛ فانتفى الإجماع الذي يوحّد آراءهم، وذلك لتداخل مفهوم النقد البلاغي للكتاب المقدّس، مع غيره من الأشكال النقدية الأدبية الأخرى، لا سيما تلك الداعية إلى نقد العهد القديم من جهة، ومن جهة أخرى؛ بسبب الاختلاف الحاصل بين علماء النقد، حول أصول النقد البلاغي، ومجالات تطبيقه، وبذلك؛ دعت الضرورة إلى فصل مفهوم الأشكال النقدية عن بعضها، وبيان

2- Phyllis Trible, Rhetorical criticism context, method, and the Book of Jonah, Op Cit, p 19.

3- Phyllis Trible, Rhetorical criticism context, method, and the Book of Jonah, Op Cit, p 21- 23.

خصائص كل واحدة على حدة[4]؛ فالنقد البلاغي يهتم بكيفية دراسة وحدة أدبية شاملة في ذاتها، أما نقد الأشكال (Form Criti)؛ فينصرف إلى استخلاص النماذج الأدبية المعيارية، بينما النقد البلاغي؛ يسعى إلى تمحيص هذه النماذج المعيارية[5].

وأمام هذا التضارب في الآراء، والتناقض في التعريفات، التي صيغت من وجهة نظرية أحادية، أو لخلفية علمية معينة، والتي هي، في أغلبها، تعريفات يكتنفها الغموض، ويعتريها اللبس والإبهام، ظهرت أول محاولة فعلية، تسعى إلى إعادة صياغة تعريف، يراعي الشروط العلمية والمنطقية والأكاديمية، ويكشف عن الجوانب والمميزات؛ التي ينفرد بها النقد البلاغي للكتاب المقدّس، حتى صار، لاحقًا، علمًا قائمًا بذاته، له منهجه الخاص، وقواعده المؤسسة للنقد، وفق معايير، وأسس، وقوانين، وضوابط، تتحرى الموضوعية في التحليل، والمصداقية الذاتية في تناول المسائل والإشكاليات اللغوية؛ التي لا يخلو منها الكتاب المقدّس.

وتعزى ريادة النقد البلاغي للكتاب المقدّس، إلى العالم اللغوي والمترجم: جيمس مويلنبيرج (Muilenburg James)؛ حيث أقر الدارسون، أنه مكتشف هذا المنهج الجديد لدراسة الكتاب المقدّس عام 1968م، على اعتباره أحدث المناهج في نقد العهد القديم والجديد، وقد انتقد مويلنبيرج رواد المناهج النقدية القديمة، لاهتمامهم بالمبنى والشكل، وتجاهلهم للمعنى والجوهر في الكتاب المقدّس، وصرح بأن اللفظ والمعنى لا ينفصلان؛ بل هما وحدة دلالية ترابطية، يدل أحدهما على الآخر، دلالة قاطعة، وعليه؛ فقد أقر أن النقد البلاغي، هو البديل الذي يساعدنا على فهم النصوص المقدّسة، من أصولها اللغوية، التي دوّنت بها؛ عبرية كانت أو إغريقية.

فالنقد البلاغي للكتاب المقدّس، عند مويلنبيرج، هو: منهج ذو أنماط بنيوية، يسعى إلى الكشف عن مكونات الوحدات الأدبية، الشعرية منها والنثرية، في الكتاب المقدّس، ويقيم أسلوبية وجمالية نصوصه، وعلاقة بلاغة الخطاب الديني في العهدين، القديم والجديد، بالجمهور، ومدى تأثيرها عليهم في الزمان والمكان[6].

إنّ ظهور منهج النقد البلاغي للكتاب المقدّس، علي يد جيمس مويلنبيرج، كان ضرورة حتميّة، أملتها الظروف العلمية؛ التي راكمت تجربة تطور وتقدم اللسانيات الحديثة، خطوات إلى الأمام، والدراسات

4- Duane f. watson, Alan j. Hauser. Rhetorical criticism of the Bible, a comprehensive bibliography with notes on history and method,. E. J. Brill New York 1994, P: 3

5- Duane f. watson, Alan j. Hauser. Rhetorical criticism of the Bible, a comprehensive bibliography with notes on history and method, Op Cit, P: 8

6- Sudney Greidanus, The modern preacher and the ancient text: interpreting and preaching Biblical literature, , Inter-varsity press, Leicester, England, 1988, P: 58

الفيلولوجية التي تهتمّ بدراسة اللغات من أصولها، والقفزة النوعية التي أحدثتها الأجناس الأدبية، وانبثاق المدارس الشعرية والنثرية، وتعدد المذاهب والاتجاهات؛ اللغوية، والفكرية، والنقدية.

وعَدَّ جيمس مويلنبيرج المنهج البلاغي في نقد الكتاب المقدّس: منهجًا وعلمًا قائمًا بذاته، ومستقلًّا عن غيره، وهو تخصّص دقيق، وجزم بالقول: إنه لا يشكل امتدادًا للبلاغة القديمة، ولا يسعى إلى إحيائها، كما أنه لا يتفاعل مع البلاغة الحديثة؛ فالمنهج البلاغي في نقد الكتاب المقدّس، حسب جيمس مويلنبيرج، أنشأه، تحديدًا، لعدم رضاه، واستياءه من المنهج النقدي التاريخي التقليدي للكتاب المقدّس، الذي أهمل الجوانب البلاغية، واكتفى بتمحيص النصوص المقدّسة، ومدى توافقها مع المعطيات والحقائق التاريخية المدونة[7].

ورغم أنّ المنهج البلاغي النقدي للتوراة، ينسب ويعزى إلى جيمس مويلنبيرج؛ فإنّ هذا الأخير، الذي عدّ هذا المنهج؛ من أفضل المناهج لدراسة الكتاب المقدّس، دراسة موضوعية، لم يدع إلى مصادرة أو تجاهل المناهج النقدية الأخرى؛ بل نادى إلى الاغتراف منها، وإعادة النظر فيها.

فأمام الجمعية الأدبية التوراتية (The Society of Biblical Literature)، أرسل مويلنبيرج، خطابًا رسميًا، تحت عنوان: "الأشكال النقدية وغيرها"، يعرب فيه عن إقراره بالأشكال الأدبية، كمنهج ومطلب علمي وعالمي، إلا أنه وجّه نقدًا إلى المنهج التاريخي، الذي اعتمد، في رأيه، على مقاربة تتجاهل مدى وحدة الترابط، المنطقي الأدبي، في دراسة أسفار التوراة[8].

وبعد أن فرض هذا المنهج، النقد البلاغي للكتاب المقدّس، أمْرَه على الواقع والمحيط العلمي، تسارعت وتيرة تبنّيه من طرف المؤسسات الأكاديمية، وأدرجته بعض الجامعات في برامجها التعليمية، بغرض التحديث، وإضفاء دينامية جديدة على المناهج العلمية، لتوسيع المدارك الفكرية، وخلق انطباعات جديدة، وتقويض المسلمات التي لم يتم إخضاعها، ووضعها تحت مجهر الحقائق المعيارية؛ التي تميّز الثابت من المتحوّل، والأصيل من الدخيل، والمطلق من النسبي، والكلّي من الجزئي.

ومن هنا؛ فقد قام مجمع النقد البلاغي (Committee of Rhetorical Criticism)، عبر بيانه الرسمي في عام 1970م، للتعريف بهذا المنهج؛ حيث صرّح المجمع: "إنّ النقد يصبح بلاغيًا للرأي العام، إذا ما تمّ تناوله من ناحية القوة الإقناعيّة، التي يضطلع بها، وبذلك؛ ينشأ النقد البلاغي، الذي يمكن مقاربته

7- Steven, l, Mckenzie. Stephen, r, Haynes, An introduction to Biblical criticisms and their application,. Westmi - ster John knox Press. London, 1999, P: 153

8- Eryl, w, Davies, Biblical criticism: A guide for the perplexed, , Bloomsbury, New York, 2013, P: 107.

من نواح عدّة؛ إنسانية، وعملية، وأدبية، وجمالية، وأسلوبية، وخطابية، بهدف تصحيح الانطباعات، وتقويم التصوّرات والمواقف والسلوك"[9].

هذا ويعتمد النقد البلاغي للكتاب المقدّس، على البلاغة الهيرمينوطيقية (Rhetorical Hermineutics)، التي تحاول بمنهجها، تعليل الظواهر التفسيرية، والمظاهر التأويلية، من خلال إبراز التمثلات والاستنباطات، التي أدلى بها مفسرو العهد الجديد، باستقراء نصوص الأناجيل، الإزائية أو السنوبتية (Synoptic Gospels)، اعتمادًا على رؤية بلاغية ولغوية.

وفي هذا المضمار؛ دعا (آن مايو Anne Mailloux)، إلى إدراج البلاغة الهيرمينوطيقية في مناهج النقد البلاغي للكتاب المقدّس، على اعتبارها أداة براغماتية في فهم القضايا التفسيرية، وتكشف عن الهفوات والمزالق التأويلية في العصور المبكرة من جهة، ومن جهة أخرى؛ لاتصالها الوثيق بالبلاغة التاريخية (Rhetorical History)، ومن هنا؛ يقر آن مايو: بأن البلاغة الهيرمينوطيقية؛ هي وسيلة إجرائية، لاستنباط علاقة التطور؛ بين اللفظ، والمعنى، والعبارة، والسياق، في الخطاب الديني للعهد الجديد، وتمحيص أساليب الإقناع في المجتمعات المسيحية؛ بين الكاهن والعوام من الناس، وعليه؛ فإن آن مايو، يعرف البلاغة الهيرمينوطيقية، بأنها مقاربة تحليلية، برؤية بلاغية، تستقرئ تاريخية النص، شكلًا ومعنى[10].

لا جرم أنّ المنهج البلاغي في نقد الكتاب المقدّس، كعلم مستقل بذاته، ومن أحدث المناهج النقدية للعهدين القديم والجديد، تندرج تحته مسائل، ومواضيع، ومباحث كثيرة، يصعب حصرها، ويعسر جردها، ويتعذر عدها؛ فهي متشعبة تشعب اللغة ذاتها، مكوناتها عديدة وعناصرها متنوعة، تتراوح بين ما هو شكلي بنيوي، وما هو معنوي جوهري، كما أنها تقارب عدة مجالات معرفية، وحقول علمية، لها نفس القواسم المشتركة، مما يجعل نصوص الكتاب المقدّس، خاضعة للنقد والنقض، أكثر من أي وقت مضى.

إنّ المنهج البلاغي في نقد الكتاب المقدّس، يقوم بتمحيص النص، كوحدة موضوعية، في مجال أو نطاق معين، ويهتم بسؤال البنية، وفن الوحدة الأدبية، والتوازي التركيبي، والإيقاع الموزون، ومدى تماسك جزئيات الوحدات النصية، والأسلوبية، والجمالية، وجزالة اللفظ، ودور المعنى في التأثير على المخاطب، وظاهرة التكرار، وجدلية الترجمة في المحافظة على أساليب البلاغة، كما هي في أصول مخطوطات الكتاب المقدّس؛ من المجاز، والتشبيه، والاستعارة، وغيرها من فنون وضروب الكلام العبري القديم[11].

9- Robert, p, gorden, the place is too small for US: the Israelite prophets in recent scholarship, Eisenbrauns, Indiana,USA, 1995, P: 177.

10- J. David, Hester Amador, Academic constraints in Rhetorical Criticism of the New Testament: an introduction to rhetoric of power, Sheffield academic press LTD, England, 1999, P: 117.

11- Duane f. watson, Alan j. Hauser. Rhetorical Criticism of the Bible, a comprehensive bibliography with notes on history and method, Op Cit, P: 8

وبصفته علمًا قائما بذاته؛ فإنه كان لزامًا أن تكون للمنهج البلاغي في نقد الكتاب المقدّس، قواعد، وأسس، وضوابط، وأهداف، ومقاصد، يتم من خلالها ضبط مفاهيم هذا المنهج، وفق الشروط العلمية والأكاديمية المتعارف عليها، حتى ينتقل الناقد للكتاب المقدّس؛ من التصور النظري، إلى التصديق الضروري، ومن الظن الغالب إلى اليقين الراجح. وبالتالي؛ تتأتى معرفة فائدة هذا المنهج، في استجلاء غوامض الكتاب المقدّس، والتساؤل عن القضايا اللغوية؛ التي تساعد في فهم إصحاحات وأعداد العهدين، القديم والجديد، في إطار أبحاث ودراسات، يشكل الجانب الفيلولوجي، اللغوي والبلاغي، ركنًا أساسيًّا فيها.

2 - النقد البلاغي للكتاب المقدّس: قواعده وأهدافه.

وضع علماء البلاغة في الغرب، مجموعة من القواعد والضوابط، لمن أراد أن يتعاطى مع محتويات الكتاب المقدّس، بصرف النظر عن خلفياته الفكرية والعقدية والإيديولوجية، سعيًا للوصول إلى أهداف، تتماهى مع الحقائق المنطقية والعلمية، وتتحرى الموضوعية، وتكشف عن الجوانب الخفية للنصوص المقدّسة، وتمحيص مادتها، تمحيصًا يعتمد على الاستنباط والاستقراء التام، وبذلك، غدا الكتاب المقدّس؛ موضوعًا للدراسة والتحليل والنقد، بعدما كان، بعهديه القديم والجديد، حكرًا على اللّاويين، والكهنة، والربيّين، والقسّيسين، ورجال الدين الكنسي، لقرون عديدة، وأزمنة طويلة.

ولقد وضع كل من (غرين سكولجي Gren Scorgie)، و(مارك شتراوس Mark Strauss)، و(ستيفن فوث Steven Voth)، مجموعة من القواعد؛ التي ندرك من خلالها، مدى محافظة الكتاب المقدّس على أصول بلاغته، نجملها فيما يأتي:

- وجوب مراعاة أنساق السياق، قبل أنساق الخطاب الشفوي.

- العبرة بروح العبارة وتأثيرها في الجمهور، وليس بجفاء النص وجموده.

- العبرة باللغة الناطقة للنص المقدّس، وليس باللغة المكتوبة.

- مدى التأثير الذي يتركه النص المقدّس في جمهور المستمعين، على اعتباره؛ أصلًا إلهيًّا خالصًا، كغيره من الكتب المقدّسة[12].

12- Glen Scorgie, Mark Strauss, Steven Voth, the Challenge Bible Translation: Communicating God's Word to the World, Zondervan, Michigan, USA, 2003, P 92.

كما أجمع علماء النقد البلاغي للكتاب المقدّس، على مجموعة من الضوابط والشروط، التي يمكن أن يستشف الباحث، منها، مدى موثوقية النص المقدّس، وتطابقه مع أصوله الأولى، وعدم تعرضه للعبث، من طرف نساخ مجهولي الهوية، بالتقديم، أو التأخير، أو الزيادة، أو النقصان، أو بالإضافة والحذف، ...إلخ، مما يجعله عملًا بشريًا خالصًا، يحتاج إلى تحيين لغوي وبلاغي، بعد ردح من الزمن، وتماشيًا مع التطور اللغوي، ومواكبة للبلاغة التي تتأثر بالزمان والمكان، ومن بين أبرز الخطوات والملامح العامة، التي يراعيها نقّاد الكتاب المقدّس، تظهر في المستويات الآتية:

أ ـ الأسلوبيّة المعياريّة للنصّ المقدّس:

وهي تعكس أساليب البلاغة، التي لا يخلو منها أي نص ديني، حتى لا يصير، هذا الأخير، مملًا للقراء، لا سيما المتعبدين بتلاوته أثناء الطقوس الكهنوتية؛ حيث تندرج تحتها مجموعة من الأساليب الأخرى، كبنية النص، وتماسكه، والترابط المنطقي، بين وحداته، وحسن الصور المجازية، والتركيب السلس للجمل، وروعة الشكل الخارجي للنص، ورونق الأسلوب والجمالية الأدبية، وخلوه من التكرار والحشو والإقحام، وغياب التضخم اللفظي، الذي لا طائل منه، وحضور جودة المعنى في ذهن المتلقي وسلامة اللغة[13]، ومن خلال هذه الأساليب؛ يمكن استجلاء، واستنباط، وتمحيص الأساليب الركيكة من الكتاب المقدّس، من خلال رؤية عقلانية، وإدراكية، وحسية، وتصويرية[14].

ب ـ القوة الإقناعيّة للنصّ المقدّس:

وهي مبدأ عام، يتم، من خلاله، فحص النص، في ضوء التأثير الممارس على المخاطبين، ومدى إقناعهم بعقيدة الديانة، وشرائعها، وأسسها، ومبادئها، والقوة الإقناعيّة للنص، تقوم على الأسلوبية المعيارية، لا على الأسلوبية الوصفية؛ حيث إن القوة الإقناعيّة الذي يزخر بها النص المقدّس، مستمدة من القوة الأسلوبية المعيارية، هذه الأخيرة؛ التي تمنح النصّ سحرًا خاصًا، يسمح بالتأثير على المستمعين، تأثيرًا إيجابيًا في حركة حياتهم، اليومية والموسمية، ويرسم لهم معالم كينونتهم الدينية والدنيوية.

لقد علّق جورج كينيدي (George Kennedy)، قائلًا: "إنّ البلاغة؛ هي دراسة الأسلوبية؛ إذ لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى، لتطابقهما التام، وإلّا كان ذلك جناية في حق البلاغة، التي تعدّ خاصية وميزة الخطاب، الذي يسعى الخطيب أو الكاتب، من خلاله، إلى تحقيق هدف ما.

13- J. David, Hester Amador, Academic constraints in Rhetorical Criticism of the New Testament: an introduction to rhetoric of power , Op Cit, P: 96.

14- Kevin j, Vanhoozer, Dictionary for theological interpretation of the Bible, Baker academic, USA, 2005, P: 690.

والنقد البلاغي للكتاب المقدّس، يتحرّى موثوقية النص؛ الذي يعتمد على الأسلوبية المعيارية، وفحص حقيقتها، انطلاقًا من مدى تقبل الجمهور لها؛ إذ إن القوة الإقناعيّة للنص، هي الكفيل الوحيد الذي يشهد على موثوقيته وأصالته[15].

ج ـ تأثير النصّ المقدّس على المخاطَبين:

وهي قاعدة من قواعد النقد البلاغي للكتاب المقدّس؛ حيث يتم وضع الجمهور والعوامّ من الناس، لا سيما أتباع وأنصار الكتاب المقدّس، تحت أنظار علماء النقد، لسبر غور مدى تفاعلهم وتقبلهم للخطاب الديني، الذي يرسله النص المقدّس لهم واضحًا غير مشفر، ويكشف عن مدى تجاوبهم مع الأوامر والنواهي، التي، غالبًا، ما يتم صياغتها في قالب، يلعب على الوتر الحساس للجمهور، بهدف التأثير المعنوي عليهم، كما أنه يعقد المقارنة بين لغة النص المقدّس، ولغة العامة من الناس، لفحص حقيقة، مسايرة ومواكبة، كلمات النص المقدّس، للمستجدات والمقتضيات اللغوية في السيرورة الزمنية، حتى تكون لها القوة التأثيرية على أسماعهم.

يقول دافيد فرنال (David Farnell): "إن البلاغة النقدية للكتاب المقدّس، تسعى إلى التأكد والتحقق، من مدى التأثير الذي يمارسه النص المقدّس على الجمهور؛ أي جمهور في جميع الحقب التاريخية، بما في ذلك، الجمهور الأول من العبريين والمسيحيين، وردة فعلهم تجاه تلك الأوامر والنواهي، وارتساماتهم، وانطباعاتهم لما وجه إليهم من عتاب، وتوبيخ، وتبكيت، ووعظ، وقيادة، وإلهام[16].

د ـ حِجاج النصّ المقدّس:

وهو قاعدة قديمة من قواعد البلاغة، وأحد أبرز مباحثها؛ لاتصاله الوثيق بالمنطق الجدلي، الذي تتمّ به مناقشة الآراء والقضايا؛ الكلية منها، والجزئية، والحملية، والشرطية، والتحقّق من الدعاوى، ودرجة صحتها أو بطلانها، والحجاج، كذلك أقرّه علماء النقد البلاغي للكتاب المقدّس؛ حيث يفحص المنهج البلاغي، من حيث ماهية، وطبيعة، وحقيقة الأدلة والحجج والبراهين، التي يدلي بها النص المقدّس، من أجل الدفاع عن ثوابته العقدية، ودحض معتقدات غيره من المجتمعات الأخرى، بأسلوب عقلاني وديني على حدّ سواء.

هذا، ويعتمد النقد البلاغي للكتاب المقدّس، كما بين ذلك كل من (رودولف فيرديربر Rudolph Verderber)، و(دينا سيلنو Denna Sellnow)، و(فاترين فيرديربر Vvatherine Verderber) على الحجاج، من خلال ثلاثة مستويات:

15- Alison lo, Job 28 as rhethoric: an analysis of Job 28 in the context of Job 22- 31, Brill, Leiden, Netherlands , 2003, P 17.

16- David Farnell, Basics of Biblical Criticism harmfull or helpful, Christian publishing house, Cambridge, USA, 2016, P 179.

- اللوغس Logos:

مجموعة من القناعات العقدية ذات الحجج المنطقية، يسعى النص المقدّس إلى الدعاية لها، والتأكيد على ثوابته (الدينية والشرعية والكهنوتية).

- الإيتوس Ethos:

مجموعة من التعاليم والشرائع، ذات الحجج المنطقية، يهدف، من خلالها النص المقدّس، إلى إقناع أنصاره بالامتثال لها، والعمل بمقتضاها.

- الباتوس Pathos:

مجموعة من الخطابات البيانية، ذات الحجج المنطقية، يرنو بها النص المقدّس إلى التأثير في النفوس، وتجييش العواطف الدينية، لجعل القضايا الإيمانية والمصيرية، أكثر قابلية لدى الجمهور[17].

هـ - جدليّة اللفظ والمعنى في النصّ المقدّس:

إنّ النقد البلاغي، ينظر إلى نصوص الكتاب المقدّس، كعمل فنّي، مؤكدًا على وجوب التحقق؛ من وحدة اللفظ، والمعنى، والدال، والمدلول، وطبيعة العلاقة بينهما، وما توجب على كل من، المفسر والمترجم، للنص المقدّس، أن يراعي في اللفظ والمعنى، بخصوص الإطلاق، والتقييد، والخصوص والعموم في الزمان والمكان. كما أقر (كلاينز Clines): أنّ النقد البلاغي، يطرح سؤالًا، مفاده: كيف يقول الكتاب المقدّس؟ وليس ماذا يقول الكتاب المقدّس؟ فالسؤال عن الكيفية، أهمّ من السؤال عن المحتوى[18].

يصرّح دافيد هيستر أمادور (David Hester Amador)، قائلًا: "إنّ النقد البلاغي للكتاب المقدّس، يسعى إلى النهوض بالمعنى، قصد إضفاء جماليته في، شكله وبنيته، الأصلية انطلاقًا من معيار أدبي خالص، يجنّب اللغة من إنتاج معان مبتذلة ومبهمة، يصعب فهمها، ويتعذر استيعابها، وهو، بذلك؛ أي النقد البلاغي للكتاب المقدّس، يدعو إلى ضرورة المحافظة على روح المعنى، في أصله الأول الذي وضع له، حتى يتأتى لنا فهم الجوانب الدينية، والتاريخية، والنفسية، والفلسفية، فهمًا صحيحًا"[19].

17- Rudolph, f, Verderber, Denna ,d, Sellnow, Vvatherine , s, Verderber, The challenge of effective speaking, Wa - sworth cengage learning, USA, 2012, P: 269.

18- Sudney Greidanus, The modern preacher and the ancient text: interpreting and preaching biblical literature, Op Cit, P: 58

19- J. David, Hester Amador, Academic constraints in Rhetorical Criticism of the New Testament: an introduction to rhetoric of power, Op Cit P: 202.

والمنهج البلاغي في نقد الكتاب المقدّس، يرنو إلى تحقيق أهداف ومقاصد خاصة، إلّا أن بعضها قد يتقاطع مع أهداف المناهج، والمدارس، والعلوم الأخرى؛ كالمنهج الفيلولوجي، الذي ينفرد بدراسة اللغة المكتوبة، انطلاقًا من المخطوطات القديمة، وعليه؛ فإن المنهج البلاغي، هو الآخر، يسعى إلى الكشف عن طبيعة وماهية اللغة القديمة، التي دونت بها الأسفار المقدّسة في جانبها البلاغي، وطرائق التعبير، وفنون الكلام، وضروب العبارة، وتطور اللفظ، والمعنى، والصور البلاغية التي تزخر بها المدوّنات، واللفائف الكتابية.

يقول (ستيفن ماكينزي Steven Mcakenzie)، و(ستيفن هاينز Stephen Haynes): "إنّ النقد البلاغي، كغيره من الأشكال النقدية الأخرى للكتاب المقدّس، يتحرى دقة المخطوطات العبرية (Hebrew Scriptures)، ومخطوطات العهد الجديد (New Testament)، وهي مقاربة لا تتعلق، فقط، بمحتويات النصوص، ومدى موثوقيتها؛ وإنما، أيضًا، تساعدنا على فهم طبيعة اللغات القديمة، وما طرأ عليها من تغيير، على اختلاف الزمان والمكان"[20].

كما حدد كل من روبينز (Robbins)، وجون باتون (John Patton)، أهداف النقد البلاغي للكتاب المقدّس بوضوح؛ إذ أكّدا أن هذا المنهج بالدراسة الاستقصائية، يسعى إلى الكشف عن أهم الطرق الناجعة في نقد الكتاب المقدّس، من أصوله الأولى، ويمحص ترجمات الكتاب المقدّس، للتحقق من مدى مطابقة بلاغة اللغة المترجمة، مع بلاغة اللغة العبرية والإغريقية الأصلية، وغيرها من الأساليب اللغوية بين الترجمات العالمية[21].

وفي ذات السياق؛ فإنّ المنهج البلاغي لنقد الكتاب المقدّس، يتقاطع، أيضًا، مع النقد البلاغي السوسيولوجي (Socio-Rethorical Criticism)، في الخطوط العريضة؛ لما لهما من قواسم مشتركة، على مستوى الخطاب الإبداعي، والتوليفي، والفني، وعلاقته بالجمهور داخل النسيج المجتمعي، والمحيط الاجتماعي، من خلال طبيعة اللغة المتداولة بين مختلف مكوّنات شرائح المجتمع.

والنقد البلاغي السوسيولوجي، ليس منهجًا، بمعناه المتعارف عليه، بقدر ما هو تحليل إجرائي، بمقاربات تعتمد على النصوص المقدّسة والخطابات الدينية، ويعد الخطاب؛ هو العامل الرئيس في تحديد العلاقات الاجتماعية، انطلاقًا واعتبارًا من مبدأ التفاعلية، ويسعى إلى دمج الدراسات الدينية، والعلوم الإنسانية والاجتماعية مع بعضها، لاستخلاص الظواهر التي تكتنف الإنسان، عقلًا وجسدًا وروحًا، ويعد النقد البلاغي

20- Steven, l, Mckenzie. Stephen, r, Haynes, An introduction to Biblical Criticisms and their application, Op Cit, P 156

21- J. David, Hester Amador, Academic constraints in Rhetorical Criticism of the New Testament: an introduction to rhetoric of power , Op Cit, P 202.

السوسيولوجي، في جانبه الهيرمينوطيقي (Socio-Rhetorical Hermeneutics)، أنّ معنى الكلمة في النصّ المقدّس، ليس موضوع الترجمة أو التفسير في حد ذاته؛ إنما العبرة بمدى تفاعل هذا المعنى، مع طريقة وأسلوب توظيفه في الخطاب الموجه للمجتمع، على اعتبار، هذا الأخير، عبارة عن شبكة من المعاني التي تتغير مدلولاتها لاعتبارات تاريخية، ولسانية، واجتماعية، وثقافية، وإيديولوجية، وثيولوجية، بين الكاتب للنص المقدّس، والقارئ المتلقي، والعامة من الناس، أو الجمهور[22].

3 - النقد البلاغي للكتاب المقدّس: أمثلة تطبيقيّة.

النقد البلاغي للكتاب المقدّس، كغيره من المناهج النقدية الأخرى؛ كالنقد الداخلي والخارجي، والنقد الأعلى والأدنى، ونقد الأشكال الأدبية، والصيغة اللغوية، والمنهج الفيلولوجي، والتاريخي، والأركيولوجي، والعلمي، ...إلخ، ليس نظريات أو فرضيات؛ وإنما يجد صداه في إجراءات تطبيقية حاسمة، يتخذ من نصوص أسفار الكتاب المقدّس، بقسميه؛ التوراة، أو التناخ، أو المقرا، أو العهد القديم، والأناجيل، أو العهد الجديد، وما يتضمنه من أعمال الرسل، وأسفار الرؤيا أرضية خصبة له، وقاعدة ينطلق، من خلالها، لإثبات الفرضيات، والتوقعات يتم وفقها الإجابة عن الإشكاليات، حسب المقاربة المتوخاة، والمنهج المتبع، للتحقق من مختلف الظواهر الدينية للكتاب المقدّس.

ويجدر بنا، هنا، أن نتوقف عند أبرز الإشكاليات، التي يطرحها المنهج البلاغي في نقد الكتاب المقدّس، من خلال استعراض أهم الموضوعات، أو المباحث والمسائل البلاغية، كظاهرة التوازي التقاطعي (Introverted Parallelism)، أو ما يعرف عند علماء النقد البلاغي للنص المقدّس، بمصطلح (Chiasm)، وظاهرة الإقحام والحشو (Intercalation)، وقضية التكرار (Repetition)، وإشكالية الترجمة (Translation).

أ ـ إشكاليّة التوازي التقاطعي:

التوازي التقاطعي: هو شكل أدبي، يظهر كثيرًا في إصحاحات الكتاب المقدّس، ويطلق عليه، أحيانًا، (النمط المتّحد المركز Concentric pattern)؛ وهو مأخوذ أو مستنبط من صورة الحرف الإغريقي X، وكان نيلز لاند (Nils Lund)؛ الذي نشر أول دراسة شاملة عن ظاهرة التوازي التقاطعي، قد عرّفها، قائلًا: "هو شكل أدبي، يعد من أهم الأشكال إطلاقًا، ويعتمد على وضع وإدراج الكلمات والجمل، بالعرض وبطريقة معكوسة، وقد استعملت عبارة التوازي التقاطعي في البلاغة؛ للإشارة إلى النظام المعكوس للكلمات

22- Stanley e, Porter. Dannis Stamps, Rethorical Criticism and the Bible Essays from the 1998 Florence confe - ence, Sheffield academic press, New York, USA, 2002, P 130- 131.

والجمل؛ حيث يختم النص بالكلمة، أو العبارة، أو الجملة، التي بدأ بها تحديدًا؛ فتصبح العبارة الأولى: هي الأخيرة، والثانية: هي ما قبل الأخيرة، وهكذا دواليك، باستثناء عبارة الوسط أو المركز، والتي تحمل مقصدًا معيّنًا، غالبًا، ما يكون وعظيًا كان النص يتغيّاه"[23].

ففي سفر الجامعة (Ecclesiastes)، وتحديدًا في الإصحاحين (11- 12)، يرد الآتي:

"אִם-יִמָּלְאוּ הֶעָבִים גֶּשֶׁם עַל-הָאָרֶץ יָרִיקוּ, וְאִם-יִפּוֹל עֵץ בַּדָּרוֹם וְאִם בַּצָּפוֹן--מְקוֹם שֶׁיִּפּוֹל הָעֵץ, שָׁם יִהְוֶא. ג בַּבֹּקֶר זְרַע אֶת-זַרְעֶךָ, וְלָעֶרֶב אַל-תַּנַּח יָדֶךָ: כִּי אֵינְךָ יוֹדֵעַ אֵי זֶה יִכְשָׁר, הֲזֶה אוֹ-זֶה, וְאִם-שְׁנֵיהֶם כְּאֶחָד, טוֹבִים. ד וּמָתוֹק, הָאוֹר; וְטוֹב לָעֵינַיִם, לִרְאוֹת אֶת-הַשָּׁמֶשׁ. ה כִּי אִם-שָׁנִים הַרְבֵּה יִחְיֶה הָאָדָם, בְּכֻלָּם יִשְׂמָח; וְיִזְכֹּר אֶת-יְמֵי הַחֹשֶׁךְ, כִּי-הַרְבֵּה יִהְיוּ כָּל-שֶׁבָּא הָבֶל. ט שְׂמַח בָּחוּר בְּיַלְדוּתֶיךָ, וִיטִיבְךָ לִבְּךָ בִּימֵי בְחוּרוֹתֶיךָ, וְהַלֵּךְ בְּדַרְכֵי לִבְּךָ, וּבְמַרְאֵי עֵינֶיךָ; וְדָע, כִּי עַל-כָּל-אֵלֶּה יְבִיאֲךָ הָאֱלֹהִים בַּמִּשְׁפָּט. י וְהָסֵר כַּעַס מִלִּבֶּךָ, וְהַעֲבֵר רָעָה מִבְּשָׂרֶךָ: כִּי-הַיַּלְדוּת וְהַשַּׁחֲרוּת, הָבֶל"[24].

أي:

"إذا امتلات السحب مطرًا تريقه على الأرض. وإذا وقعت الشجرة نحو الجنوب أو نحو الشمال. ففي الموضع حيث تقع الشجرة هناك تكون. النور حلو، وخير للعينين أن تنظرا الشمس. لأنه إن عاش الإنسان سنين كثيرة فليفرح فيها كلها وليتذكر أيام الظلمة لأنها تكون كثيرة. كل ما يأتي باطل. افرح أيها الشاب في حداثتك وليسُرّك قلبك في أيام شبابك واسلك في طرق قلبك وبمرآى عينيك واعلم أنه على هذه أكلها يأتي بك الله إلى الدينونة. فانزع الغم من قلبك وابعد الشر عن لحمك لأن الحداثة والشباب باطلان. فاذكر خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لي فيها سرور. قبلما تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم وترجع السحب بعد المطر"[25].

بعد تمعن النص يمكن الحصول على الخطاطة الآتية:

1- السحاب والمطر.

23- James l, Bailey. Lyle d, Yander Brook, Literary Forms in New Testament, John knox Press, Louisville, USA, 1992, P 178.

24- תורה נביאים וכתובים، קוהלת: 11- 12

Biblia Hebraica, Ex Officina Bernhardi Tauchnitz, 1859.

25- الكتاب المقدّس، دار الكتاب المقدّس، القاهرة، 2008م، سفر الجامعة الإصحاح: 11- 12.

2- النور والشمس.

3- تذكر أيام الظلمة.

4- كل شيء يأتي من النفس.

5- استمتع بشبابك.

6- ولكن اعلم أن الله سيأتي بك إلى الدينونة.

5- استمتع بشبابك.

4- كل شبابك من النفس.

3- تذكر الله قبل أيام الظلمة.

2- الشمس والنور.

1- السحاب والمطر.[26]

يطرح النص أعلاه قضية جوهرية، ومحورية، ومركزية، تجلّت في هذا المقطع التوراتي، باستعمال ظاهرة التوازي التقاطعي، ألا وهي؛ تذكير الإنسان بدينونة الله، الذي سيعود إليه حتمًا، وقد استحسن الكثير من الباحثين في مجال النقد البلاغي، التوازي التقاطعي، واعتبروه صورة من أبهى الصور البلاغية في الكتاب المقدّس، ومنهم؛ جيمس ويلنبيرج، بينما اعتقد آخرون أنه تكرار لا طائل منه، رغم أهميته في العصور المبكرة، إلا أنه لم يعد مستحبًا في عصرنا الراهن[27].

ب ـ إشكالية الإقحام والحشو:

الإقحام أو الحشو (Intercalation): من الإشكاليات التي يطرحها علماء النقد عمومًا، والنقد البلاغي خصوصًا؛ فيرى ستيفن مور (Stephen Moore) في مقالاته عن النقدية التفكيكية (Deconstructive Criticism)، أن إنجيل مرقس (Mark's Gospel)، يحتوي على لغة لا واعية، أشبه وأقرب إلى تلك

26- Nueske, A, A, The Chiasm of Daniel and Revelation, AB Aspect Books, USA, 2014, P 17.

27- Steven, l, Mckenzie. Stephen, r, Haynes, An introduction to Biblical Criticisms and their application, Op Cit, P 158.

التي في الأحلام. وباستلهام مبادئ وأطروحات كل من؛ سيغموند فرويد (Sigmund Freud)، وواضع التفكيكية جاك دريدا (Jacques Derrida)، عدَّ ستيفن مور إنجيل مرقس فراغًا، ونقطًا سوداء، وهامشيًّا، بسبب الإقحام والحشو الذي لا يخلو منه[28].

وظاهرة الإقحام؛ عبارة عن تضمين في النص المقدّس، للعهد القديم والجديد؛ حيث تصبح وحدة الموضوع في النص، يتخللها، في الوسط، مقطع لا علاقة له بالموضوع، مما يهدد انسجامها وتناغمها الكلي، وحينها، يصير النص منقسمًا إلى ثلاثة أقسام، ينعدم فيه الترابط المنطقي الذي يشتت ذهن القارئ أو المستمع[29].

ومثيل ذلك؛ ما ورد في إنجيل مرقس في الإصحاح 11:

«12 وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع، 13 فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق، وجاء لعله يجد فيها شيئًا. فلما جاء إليها لم يجد شيئًا إلا ورقًا، لأنه لم يكن وقت التين. 14 فأجاب يسوع وقال لها: «لا يأكل أحد منك ثمرًا بعد إلى الأبد!». وكان تلاميذه يسمعون.

15 وجاءوا إلى أورشليم. ولما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام. 16 ولم يدع أحدا يجتاز الهيكل بمتاع. 17 وكان يعلم قائلًا لهم: «أليس مكتوبًا: بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم؟ وأنتم جعلتموه مغارة لصوص». 18 وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه، لأنهم خافوه، إذ بهت الجمع كله من تعليمه. 19 ولما صار المساء، خرج إلى خارج المدينة.

20 وفي الصباح إذ كانوا مجتازين رؤوا التينة قد يبست من الأصول، 21 فتذكر بطرس وقال له: «يا سيدي، انظر! التينة التي لعنتها قد يبست!» 22 فأجاب يسوع وقال لهم: «ليكن لكم إيمان بالله. 23 لأني الحق أقول لكم: إن من قال لهذا الجبل: انتقل وانطرح في البحر! ولا يشك في قلبه، بل يؤمن أن ما يقوله يكون، فمهما قال يكون له. 24 لذلك أقول لكم: كل ما تطلبونه حينما تصلون، فآمنوا أن تنالوه، فيكون لكم»»[30].

28- Daniel. J, Harrington, What are they saying about Mark, Paulest Press, New York, 2004, P: 8.

29- Charles b. Puskas. Michael Robbins. An introduction to the New Testament, The Lutterworth Press, Ca - bridge, UK, 2011, P: 151.

30- الكتاب المقدّس، إنجيل مرقس الإصحاح: 11، الأعداد: 12 - 24، مرجع سابق

بعد استعراض وإثبات النص؛ فإن الأعداد، من الثاني عشر إلى الرابع عشر، تحكي عن لعنة المسيح لشجرة التين، لأنه لم يجد فيها إلا ورقها، أما الأعداد من الخامس عشر إلى التاسع عشر؛ فيتغير مجرى الكلام حول دخول المسيح الهيكل، داعيًا إلى الصلاة، وتخوّف رؤساء الكهنة منه، ثم يعود الحديث، مجددًا، في الأعداد من عشرين إلى أربعة وعشرين، عن شجرة التين والعبرة منها؛ فقصة دخول السيد المسيح إلى الهيكل، عُدّت إقحامًا وحشوًا، لا طائل منه في أحداث قصة شجرة التين.

ج ـ جدليّة التكرار في النصّ المقدّس:

عرّفه رجال الدين المسيحي، أنه: تنويع في الوظيفة التركيبية الأدبية، يرجى من خلاله تقوية الذاكرة، كما كان شأن الإسرائيليين القدماء، إلا أن العالم التوراتي فان ديك بارونالك (Van Dyke Parunak)، يرى أن ظاهرة التكرار؛ هي عادة مستهجنة في الزمن المعاصر، معتبرًا إياها مخالفة لأبسط القواعد الأدبية واللغوية، ذلك أن التكرار، لا يستعمل إلا في الخطاب الشفوي لتقرير المسائل، على اعتبار أن التوراة كانت شفوية في بداياتها، مما يدل على أن هذه الظاهرة كانت صحيحة في أول أمرها؛ لأنها تستهدف الآذان لا العيون، علاوة على أن الكتبة والنساخ الأولين، لم يدرجوا في نصوصهم العناوين العريضة، والعناوين الفرعية، والأقواس، وأدوات التنقيط، والحواشي، والملاحق، والفهارس، خلافًا للمعاصرين في الوقت الراهن؛ لذا كان التكرار أداة تقنية لتوجيه وإرشاد المخاطب، كما يرى فان دوك بارونالك: أنّ التكرار في الكتاب المقدّس، يعكس ظاهرة الانتحال الأدبي (Plagiarism)؛ أي انتحال النسّاخ مادة غيره، وإدراجها في سفره[31].

ومن أمثلة ذلك؛ ما ورد في سفر الملوك الثاني الإصحاح التاسع عشر، من العدد 1 إلى العدد 12:

א וַיְהִי, כִּשְׁמֹעַ הַמֶּלֶךְ חִזְקִיָּהוּ, וַיִּקְרַע, אֶת-בְּגָדָיו; וַיִּתְכַּס בַּשָּׂק, וַיָּבֹא בֵּית יְהוָה. ב וַיִּשְׁלַח אֶת-אֶלְיָקִים אֲשֶׁר-עַל-הַבַּיִת וְשֶׁבְנָא הַסֹּפֵר, וְאֵת זִקְנֵי הַכֹּהֲנִים, מִתְכַּסִּים, בַּשַּׂקִּים--אֶל-יְשַׁעְיָהוּ הַנָּבִיא, בֶּן-אָמוֹץ. ג וַיֹּאמְרוּ אֵלָיו, כֹּה אָמַר חִזְקִיָּהוּ, יוֹם-צָרָה וְתוֹכֵחָה וּנְאָצָה, הַיּוֹם הַזֶּה: כִּי בָאוּ בָנִים עַד-מַשְׁבֵּר, וְכֹחַ אַיִן לְיֹלֵדָה. ד אוּלַי יִשְׁמַע יְהוָה אֱלֹהֶיךָ אֵת כָּל-דִּבְרֵי רַבְשָׁקֵה, אֲשֶׁר שְׁלָחוֹ מֶלֶךְ-אַשּׁוּר אֲדֹנָיו לְחָרֵף אֱלֹהִים חַי, וְהוֹכִיחַ בַּדְּבָרִים, אֲשֶׁר שָׁמַע יְהוָה אֱלֹהֶיךָ; וְנָשָׂאתָ תְפִלָּה, בְּעַד הַשְּׁאֵרִית הַנִּמְצָאָה. ה וַיָּבֹאוּ, עַבְדֵי הַמֶּלֶךְ חִזְקִיָּהוּ--אֶל-יְשַׁעְיָהוּ. ו וַיֹּאמֶר לָהֶם יְשַׁעְיָהוּ, כֹּה

31- Sudney Greidanus, The modern preacher and the ancient text: interpreting and preaching Biblical Literature, Op Cit, P 60.

תֹּאמְרוּן אֶל-אֲדֹנֵיכֶם: כֹּה אָמַר יְהוָה, אַל-תִּירָא מִפְּנֵי הַדְּבָרִים אֲשֶׁר שָׁמַעְתָּ, אֲשֶׁר גִּדְּפוּ נַעֲרֵי מֶלֶךְ-אַשּׁוּר, אֹתִי.[32]

1 فلما سمع الملك حزقيا ذلك مزق ثيابه وتغطى بمسح ودخل بيت الرب. 2 وأرسل الياقيم الذي على البيت وشبنة الكاتب وشيوخ الكهنة متغطين بمسح إلى إشعياء النبي ابن أموص. 3 فقالوا له هكذا يقول حزقيا. هذا اليوم يوم شدة وتأديب وإهانة. لأن الأجنة قد دنت إلى المولد ولا قوة للولادة. 4 لعل الرب إلهك يسمع جميع كلام ربشاقى الذي أرسله ملك أشور سيده ليعير الإله الحي فيوبخ على الكلام الذي سمعه الرب إلهك. فارفع صلاة من أجل البقية الموجودة 5 فجاء عبيد الملك حزقيا إلى إشعياء 6. فقال لهم إشعياء هكذا تقولون لسيدكم. هكذا قال الرب. لا تخف بسبب الكلام الذي سمعته الذي جدف علي به غلمان ملك أشور[33].

فالإصحاح التاسع عشر من سفر الملوك الثاني، يتطابق كلمة بكلمة، وعبارة بعبارة، مع الإصحاح السابع والثلاثين من سفر إشعياء، مما يدل دلالة قطعية، على أنّ أحد كتاب السفر، قد انتحل المقطع من الآخر وأدرجه في سفره، وإلّا ما فائدة هذا التكرار غير الضروري، أو أن كاتب السفر، قد اغترف من مصادر كثيرة لصياغة السفر بعينه.

د ـ إشكاليّة الترجمة:

وهي من بين أكثر الإشكاليات إثارة للجدل، في كل الأزمنة والأمكنة، ذلك أنه من المعلوم، أن كل لغة لها تركيبها الخاص، وبلاغتها الفريدة، وطريقة كلامها الذي يميّزها عن غيرها من اللغات، ومخارج أصواتها التي تختلف عن ما سواها، فما هو معروف أو مدرج في لغة ما، قد لا يكون، بالضرورة، مدرجًا أو مبثوثًا في لغة أخرى؛ فاختلاف تعابير الكلام، وصياغة الجمل، وانتقاء الألفاظ للدلالة على المعنى المقصود، يجعل الترجمة أمرًا بالغ الصعوبة، ولعل ترجمة الكتاب المقدّس إلى لغة أخرى، يفقده روحه، ويجرّده من أصالته اللغوية والبلاغية، وغالبًا ما يترك ذلك تحريفًا خفيًا لروح المعنى، وجزالة اللفظ، وحسن السبك.

وصعوبة الترجمة تتمثّل في الحفاظ على بلاغة الكتاب المقدّس، وتختلف من لغة إلى أخرى؛ فقد وجد المترجم للكتاب المقدّس، في العصور الأولى، صعوبة بالغة في ترجمة اسم حيوان، أو شيء مادي محسوس، أو مفهوم مجرّد، خاص بالكتاب المقدّس؛ إذ إن هذه الأشياء، والمسمّيات، والمفاهيم الدينية، لا يعرفها الشعب أو القبيلة، أو حتّى سكان الحضارة؛ الذين لم يتعودوا على معرفة هذه الأشياء، لأنها غير معروفة، أصلًا، في

32- תורה נביאים וכתובים، מלכים ב 19

Biblia Hebraica, Ex Officina Bernhardi Tauchnitz, 1859

33- الكتاب المقدّس، سفر الملوك الثاني: الإصحاح 19، مرجع سابق

ثقافتهم، وليست مطروحة في بيئتهم، ومحيطهم، وأرضهم؛ فكلمة «الجمل»، تمت ترجمتها للشعب الذي لا يعرف الجمل، بأنه: حيوان كبير، يسمى بالجمل. وقيل عن الكنيس (Synagogue): إنه بناية، يمارس فيها اليهود طقوسهم التعبدية. والختان (Circumcision): هو قطع الجلد. مما جعل الترجمة بعيدة عن المقصود من جهة، ومن جهة أخرى؛ لفقدان النص أصالته وروح بلاغته؛ اللتان تميزانه، كنصّ ديني مقدّس، عن غيره من الكتب الأخرى[34].

خاتمة:

هكذا يتبين؛ أنّ المنهج البلاغي في نقد الكتاب المقدّس، هو: من المناهج التي تندرج ضمن الحركة العلمية في نقد النصوص المقدّسة، وهو علم قائم بذاته، رغم حداثته، وله حدّه، وقواعده، وشروطه، وضوابطه، وأهدافه، وغاياته، وهو، بذلك، يعتبر منهجًا وعلمًا مهيمنًا على باقي المناهج العلمية الأخرى، أو هو، على أقل تقدير، يتقاطع مع المناهج الأخرى في حقول مشتركة؛ فمن حيث قيامه بفحص المخطوطات الدينية القديمة، لجرد ملامح بلاغتها، وطرائق التعبير فيها؛ فهو أقرب إلى المنهج الفيلولوجي. وبما أنه يهتم بالشعر، والنثر العبري والإغريقي القديم، لمعرفة تراكيب الكلام فيه، ومقارنته مع النصوص المقدّسة؛ فهو نقد ذو صبغة تاريخية. وبما أنه يتناول الموضوعات الأدبية والتفكيكية؛ فهو منهج ذو مقاربة أدبية. كما أن النقد البلاغي، له قواسم مشتركة مع نقد الصيغة اللغوية، إلى حد التداخل، والانصهار، والتماهي، حتّى إنّه ليعسر ويصعب التمييز بينهما.

إنّ ما يميز روّاد المنهج البلاغي في نقد الكتاب المقدّس؛ أنهم سعوا في دراستهم، العلمية والأكاديمية، ليس فقط إلى نقد النصوص المقدّسة، من أجل النقض فحسب، أو تقويض محتوياتها، ومصادرة كتابها، وإثارة الشبهات حولها؛ إنّما، وإن لم يكن كلهم فجلّهم، استلهم روحانية الكتاب المقدّس، ودعا إلى النقد البنّاء؛ الذي يهدف إلى إعادة روح المعنى للكتاب المقدّس، بتجديد بلاغته، حتى يعود تأثيره في القلوب، ووقعه الكبير في النفوس، وهم بذلك، يقرّرون: أنّ العبرة، بالمعنى والمبنى، معًا، ويحاولون، قدر الإمكان، المحافظة بواسطة المعنى على أصالة البلاغة، كما كانت في العصور المبكّرة عند العبريّين القدماء، وعبر المبنى ينادون بتجديد اللفظ، لمواكبة التطور اللغوي؛ الذي تمليه الظروف، والمقتضيات، والمستجدات.

والراجح: أنّ المنهج البلاغي في نقد الكتاب المقدّس، قد ساهم كغيره من المناهج الأخرى، إلى حد كبير، في إعادة قراءة الكتاب المقدّس، برؤية لغوية وأدبية وبلاغية معاصرة، وكان له الفضل الأكبر، والأثر الأعظم، في الكشف عن الكثير من الغوامض والإشكاليات، التي تخاطب ذهن القارئ والمستمع،

34- William Allen Smalley, Translation as mission: Bible translation in the modern missionary movement, Mecer University Press, Georgia, USA, 1991, P: 195.

ويرصد ما دخل على النصوص المقدّسة من ركاكة في اللفظ والمعنى، ساعيًا إلى تقييمها وتقويمها، وداعيًا إلى مراجعتها، وإعادة صياغتها، حتى تستقيم مع التطوّر البلاغي؛ الذي عرف قفزة نوعية في الزمن المعاصر.

لائحة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

1ـ الكتاب المقدّس، دار الكتاب المقدّس، القاهرة، 2008م.

المراجع العبرية:

2- תורה נביאים וכתובים،

Biblia Hebraica, Ex Officina Bernhardi Tauchnitz, 1859.

المراجع الإنجليزية:

3- Alison Lo, Job 28 as rhethoric: an analysis of Job 28 in the context of Job 22- 31, Brill, Leiden, 2003.

4- Charles b. Puskas. Michael Robbins. An introduction to the New Testament, The Lutterworth Press, Cambridge, UK, 2011.

5- Daniel. J, Harrington, What are they saying about Mark, Paulest Press, New York, 2004.

6- David Farnell, Basics of Biblical criticism harmfull or helpful, Christian publishing House, Cambridge, USA, 2016.

7- David, Hester Amador, Academic constraints in rhetorical criticism of the New Testament: an introduction to rhetoric of power, Sheffield academic press LTD, England, 1999.

8- Duane f. watson, Alan j. Hauser. Rhetorical Criticism of the Bible, a comprehensive bibliography with notes on history and method,. E. J. Brill, New York, 1994.

9- Eryl, w, Davies, Biblical criticism: a guide for the perplexed, Bloomsbury, New York, 2013.

10- Glen Scorgie, Mark Strauss, Steven voth, The challenge Bible translation: communicating God's word to the world, Zondervan, Michigan, USA, 2003.

11- James l, Bailey. Lyle d, Vander Brook, Literary forms in New Testament, John knox Press, Louisville, USA, 1992.

12- Kevin j, Vanhoozer, Dictionary for theological interpretation of the Bible, Baker academic, USA, 2005.

13- Nueske, A, A, the Chiasm of Daniel and Revelation, AB aspect books, USA, 2014.

14- Phyllis Trible, Rhetorical criticism context, method, and the Book of Jonah, Augsburg Fortess, USA, 1944.

15- Robert, p, Gorden, The place is too small for US: the Israelite prophets in recent scholarship, Eisenbrauns, Indiana,USA, 1995.

16- Rudolph, f, Verderber, Denna ,d, Sellnow, Vvatherine , s, Verderber, The challenge of effective speaking, Wadsworth cengage learning, USA, 2012.

17- Stanley e, Porter. Dannis Stamps, Rethorical Criticism and the Bible Essays from the 1998 Florence conference, Sheffield Academic Press, New York, USA, 2002.

18- Steven, l, Mckenzie. Stephen, r, Haynes, An introduction to Biblical criticisms and their application,. Westminster John knox Press. London, 1999.

19- Sudney Greidanus, The modern preacher and the ancient text: interpreting and preaching Biblical literature, , Inter-varsity Press, Leicester, England, 1988.

20- William Allen Smalley, Translation as mission: Bible translation in the modern missionary movement, Mecer University Press, Georgia, USA, 1991.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017

All rights reserved © 2017